المغرب القديم في العصر الحجري

نهى محمد نصر الدين أحمد

الفرقة الرابعة – كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية
جـــامعـــة الإسكنـــدريـــة
spirit-love-N@hotmail.com

مرت منطقه المغرب القـــديم – أو الشـــمال الأفريقـــي – كغيرها من مناطق الشرق الأدنى بعصور ما قبل التاريخ في مراحله المختلفة من العصر الحجري القـــديم الأســـفل إلى الأوسط فالأعلى ، ثم بمرحله العصر الحجري الحديث و قد استمرت هذه المراحل من الناحية الزمنية حوالي ١٢٠٠٠قبل الميلاد ، طبقا للمصادر الكلاسيكية و قد أرجعتها الأدلـــة الفينيقية الأولى إلى القرن الثامن قبل المـــيلاد . و ينقســـم العصر الحجري القديم إلى ثلاث أزمنة :-

أولا:- العصر الحجري القديم الأسفل.

ثانيا:- العصر الحجري القديم الأوسط .

ثالثا :- العصر الحجري القديم الأعلى.

يرى الباحثون في حضارة العصر الحجري القديم الأسفل أن آثار موقع "عين حنش " بمنطقه سطيف في الجزائر تمثل أقدم جهد إنساني في صناعة الأدوات الحجرية في شمال أفريقيـــا، وذلك أثر العثور على قطع حجريه من الحجـــر الجـــيري يقترب شكلها من الشكل الكروي وتتميز بكثرة أضلاعها و زواياها، غير أن الاتجاه الحـــديث يـــذهب إلى موقـــع " عرباوه " في شمال سهول المغـــرب و " دوار الـــدوم " في مجاورات العاصمة المغربية " الرباط ".

و السبب في ذلك أن هذه المواقع إنما تمثل جهدا صـــناعيا أكثر قدمًا من الكرات الحجرية المنتمية إلى " عين حنش " ، وبالتالي فإنها تمثل أقدم أثار صنعها الإنســـان في المغـــرب الكبير في أقدم عصوره، هذا فضلاً عن أنه قد عثـــر علـــى موقع في الجزائر ينتمي لهذه المرحلة حيث كُشف فيه عـــن طبقه أثرية تمثل حضارة الحصى المشذب.

و قد تميزت حياه الإنسان الاقتصـــادية في هـــذه المرحلـــة بالجمع والالتقاط، و لذا فان استقراره في الكهوف و حول العيون والآبار والأودية كان استقرارا مؤقتا، فسرعان مـــا ينتقل إلى مكان آخر يبحث فيه عن طعام جديد. و قد نجح هذا الإنسان الأول في بداية تطوير حياته بصـــنعه الآلات الحجرية الأولى كالفؤوس اليدوية.

بقيت الإشارة إلى أن النعام هو الطائر الوحيد الذي تأكـــد وجوده أثريًا في مرحلة العصر الحجري القديم الأســـفل و الأوسط في المغرب، ومن المعروف أن طبقات عصور مـــا قبل التاريخ الأثرية في المغرب لم تكد تخلو واحده منها من بيض النعام أو قشوره.

وقد اكتشف إنسان العصر الحجري القديم الأسفل عـــدداً من التجارب دفعته إلى الانتقال إلى العصر الحجري القديم الأوسط والتي تظهر بوضوح في صناعة الأدوات الحجرية، وخاصة في صناعة الشظايا والتي كانت تتطلـــب تـــدريبا طويلاً، يظهر ذلك في عمليات ضرب الحجر في زوايا معينة مما ينتج عنه هذه الشظايا المتميزة بحدها.

و قد عُثر على عدد من المواقع الأثرية تتضمن آثار من مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط ، في بلاد الشمال الأفريقي، من ليبيا شرقا، وحتى المحيط الأطلسي غربا.

ويطلق العلماء على هذه المرحلة الحضارية من عصور ما قبل التاريخ اسم الحضارة " العاتريه" نسبة إلى موقع " بئر العاتر" في وادي جبانة قريباً من قسطنطينية في الجزائر،على الحدود بينها و بين تونس، و قد تم أيضاً العصور على الصناعة العاتريه من قبل بعض الباحثين.

و قد وجدت العاتريه بمظهرها الصميم في كثير من المواقع والطبقات الأثرية في جميع أنحاء المغرب، فوجدت في الرسومات السطحية لوادي جبانه ووادي جوف الجمل وكاف الأحمر ووادي سرديس، وفي رمال جبل عواش، وفي رواسب الرمل الأحمر على طول الساحل الجزائري في كارويه وضواحي بترت وغيرها.

ويبدو أن الإنسان في هذا العصر، قد استعمل بجانب الحجر الأخشاب و الجلود و العظام و بيض النعام أو قشوره، كما بدأ يدرك حقيقة وجود قوى خفيه تتحكم في الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية والطبيعية، وأراد تجسيم هذه القوى في أماكن معينة لكي يحاول استرضاءها ضماناً لحمايته و مصيره.

وقد اختلف الباحثون حول المناخ الذي ساد الشمال الأفريقي إبان عصر الحضارة العاتريه، فريق يرى أن المناخ كان رطبا حاراً، وآخر يرى أنه كان جافا، و من يحاول التوفيق بين الاتجاهين يذهب إلى أن المناخ إنما كان وقت ذاك يتميز بالرطوبة الشديدة، مع انخفاض قليل في درجة الحرارة.

وعلى أيه حال فالرأي عند " كاتون طمسون " أن موقع الخنزيره (طبقه أ) في المغرب الاقصى، إنما يمثل مرحله العاتريه في الشمال الأفريقي، ثم انتشرت جنوب الأطلسي الصحراوي في العصر العاتري الوسيط. وهناك من يذهب إلى أن الصناعة العاتريه قد وصلت إلى مصر في العصر الحجري القديم الأوسط.

ولعل أهم مواقعها إنما كانت تلك التي كشف عنها "ساندفورد" على مقربة من نقاده و فيما بين دندنره والمراشده، فضلا عن تلك التي على مقربة من نجع حمادي (بمحافظه قنا) و أسيوط إلى جانب ما تم كشفه في ضواحي طيبه و في العرابه المدفونه (محافظه سوهاج).

و يرى الباحثين أن الصناعة العاتريه تشبه صناعه "الحضارة اللفلوازيه الموستيريه الفلسطينيه" في الإنتاج الصناعي و في إنماء كل منهما لفترة زمنية واحدة، وقد طُبقت طريقة "كربون ١٤ المشع" على بعض البقايا المتفحمة التي عُثر عليها في المواقد في طبقات "كهف هوافتيح" في منطقه وادي درنه، فأدى إلى تقدير عمر هذه البقايا بحوالي ٤٣٠٠٠ ق.م ، كما أن هناك شبهاً بين البقايا العظمية الإنسانية من هذه المرحلة و بين " الإنسان النيدرتالى الفلسطيني ".

وقد أدى ذلك كله إلى وجود صلات حضارية و بشرية بين غربي أسيا و خاصةً فلسطين وبين المغرب وخاصةً برقة (شمال شرقي ليبيا) الأمر الذي يدل على وجود جانب شرقي، فضلاً عن العناصر المحلية في حضارة العصر الحجري القديم الأوسط في المغرب.

المراجع

-رشيد الناضوري، المغرب الكبير، الجزء الأول:العصور القديمة، الإسكندرية ١٩٦٦.

- ام الخير العقون، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، الإسكندرية١٩٨٨.